«طوفان الأقصى»... بين الاستمرار والانفجار

أحمد الحرزي
كاتب ومحلل سياسي

تعاطى القادة الصهاينة ومعهم الإدارة الأميركية مع عملية «طوفان الأقصى» بشكل مختلف عن كل حروبهم السابقة منذ التأسيس، فقد أدرك الطرفان منذ الساعات الأولى التي تلت العملية بأنهم أمام متغيّر استراتيجي مختلف، ويحمل جعبة هائلة من التهديدات على بقاء الكيان بعد أن تهشّمت صورته التي رسَّخها خلال خمسة وسبعين عاماً في محيطه الإقليمي والدولي، وكذلك الأمر بالنسبة للإدارة الأميركية التي اعتبرت تضعضع الكيان مسألة تصيب مكانة الولايات المتحدة كقوة مهيمنة على العالم في الصميم. فالفراغ الذي سيتشكّل نتيجةً للهزيمة في منطقة غرب آسيا سيُملأ من قبل محور المقاومة ومن خلفها خصماهما الاستراتيجيان «الصين وروسيا»، ما دفعهما للتعاطي مع الحرب البرية بمنطق الحرب الوجودية والتي لا يُسمح فيها بالهزيمة، ومؤشرات ذلك متعدّدة.

المؤشّر الأول هو الاصطفاف الموحّد للولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي بشكل كامل مع الكيان رغم بعض الاعتراضات الخافتة، ابتداءً من الحشد الأكبر للقطع البحرية في شرق المتوسط منذ الحرب العالمية الثانية في بداية الحرب البرية، ومروراً بالدعم العسكري اللوجستي المباشر والمستمر، بما في ذلك مشاركة خفية في إدارة الحرب، إضافة إلى الدعم المالي الكبير، والتغطية الوقحة على الجرائم الكبرى على مرأى من البشرية جمعاء، ومنع وقف إطلاق النار قبل أن يحقّق الكيان نصراً يحميه.

المؤشّر الثاني هو تجاوز «الجيش» والمجتمع الإسرائيلي قدرته على تحمّل الحروب زمنياً، حيث بنى حروبه السابقة على العامل الزمني القصير والمحدود، وكانت بعض التوقّعات تعتقد بأن هذا «الجيش» لن يستطيع تجاوز الشهرين في قدرته على الحرب وعليه أن يحسم حربه البرية خلالها، فإذا به قد قارب أشهراً خمسة في حرب لم تتوقّف سوى في هدنة قصيرة. أما المؤشّر الثالث فهو قدرته على تجاوز حجم الخسائر المحتملة حتى الآن في ظاهرة غير مألوفة للمجتمع الإسرائيلي، وهذا ما دفع بوزير الحرب الإسرائيلي يوآف غالانت للتصريح: «الخسائر المادية والبشرية التي نتعرّض لها على جبهات القتال في غزة وشمال البلاد (على الحدود مع لبنان) باهظة جداً، إلى حد أننا لم نتعرّض لها منذ تأسيس الدولة قبل ٧٥ عاماً»، وهذه ظاهرة لم تكن مسبوقة في الكيان من قبل.

المؤشّر الرابع هو غياب الانقسام الاجتماعي والسياسي حول أهداف الحرب في غزة حتى الآن، والواضح أن الغالبية الاجتماعية والسياسية تقف خلف رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو مع خيارات استمرار الحرب ومنع وقف إطلاق النار.

وصلت المواجهات العسكرية للعدو الصهيوني إلى حد الاختناق بعدم القدرة على حسم الحرب وبشكل مختلف عن كل حروبهم السابقة

قوى المقاومة وحربها الوجودية

تخوض قوى المقاومة حربها المديدة من واقع موازٍ من حيث اليقين بأنها تخوض حرباً وجودية، فوحدة الساحات التي عملت على إطلاقها قبل معركة «طوفان الأقصى» تحقّقت من الناحية الفعلية بإدارتها المشتركة لمعاركها المتنوّعة في فلسطين ولبنان واليمن والعراق وسوريا، فهي أصبحت مترابطة المصير فإما تنتصر جميعاً وإما تنهزم جميعاً، ولا يمكن فصل أي طرف من أطرافها الذي يعني الموت للجميع.

تدرك هذه القوى بأن العنوان الفلسطيني جامع ويستطيع أن يغيّب كل العناوين الداخلية، إن كان اختلافاً سياسياً أو دينياً أو إثنياً، وهي في حربها مع الكيان دفاعاً عن بقاء فلسطين كقضية مركزية ومساندة حركات المقاومة الفلسطينية بفتح جبهات متعددة، تمنع من الاستفراد بها على مبدأ «أُكلت يوم أُكل الثور الأسود». وإدراكها بأنها موجودة في بيئات منقسمة على نفسها سياسياً بين الشرق والغرب، ما يجعل ظهرها مكشوفاً بالاختراق الأميركي للمجتمعات والقوى السياسية، وهي لا يمكنها إلا الانتصار كي تدفع بالمتردّدين وغير المتردّدين للتفكير ألف مرة قبل الانقضاض عليها وحصارها. لذا تتعاظم مخاطر استمرار الحرب بمستواها الحالي، فرغم العجز الإسرائيلي والأميركي عن تحقيق الأهداف التي وضعاها في حرب الإبادة على غزة عسكرياً، فإن صفرية الحرب تدفعهما إلى استخدام سلاح التجويع والضغط على مدنيّي شمال غزة بالدرجة الأولى، لدفع حركة حماس للاستسلام وقبول تحقيق الأهداف المطلوبة مقابل لا شيء بما يحقّق الانتصار للكيان. ولا يتوقّف الأمر هنا بل يترافق بتبلور نظام إقليمي عربي محيط بالكيان بدأت ملامحه تظهر، ويضم كلّاً من الكيان ومصر والسعودية والإمارات والأردن، وهو يحمل ثقلاً مالياً وعسكرياً بغطاء أميركي يستطيع أن يفرض شروطه على المحور المقاوم المناهض للمشروع الأميركي في منطقة غرب آسيا، لا يتلقّى دعماً كافياً من روسيا والصين في هذا الصراع.

الوجه الآخر للحرب الإسرائيلية على لبنان

ليلى نقولا
كاتبة ومحللة سياسية

منذ السابع من تشرين الأول /أكتوبر لم تتوقف التهديدات الإسرائيلية بشنّ حرب على لبنان، لإقامة منطقة عازلة لإبعاد حزب الله عن الحدود، كما يحد الإسرائيلي في الأهداف التي يرمي إليها من تلك الحرب. ومؤخراً، نقلت شبكة «سي أن أن» عن مسؤولين في الإدارة الأميركية أن هناك قلقاً أميركياً من خطط إسرائيلية لتوغل في لبنان في الربيع أو الصيف القادم، إذا فشلت الجهود الدبلوماسية في دفع حزب الله إلى التراجع عن الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة. ونقلت الشبكة عن مسؤول وصفته بالمطلع، أن «الإدارة تعمل على افتراض حدوث عملية عسكرية إسرائيلية في الأشهر المقبلة». وأردف قائلاً: «ليس بالضرورة أن يحصل التوغل خلال الأسابيع القليلة المقبلة، ولكن ربما في وقت لاحق من هذا الربيع».

ولا شكّ أن تلك التسريبات الإعلامية تحاول أن ترفد التهديد الإسرائيلي بتوغل برّي للضغط على لبنان لتقديم تنازلات، بحرب نفسية وإعلامية تهدف إلى استخدام كل عناصر الضغط الخارجية العسكرية والدبلوماسية على لبنان، بالإضافة إلى الضغط الداخلي السياسي والاجتماعي والاقتصادي لتحقيق أهداف الحرب من دون خوضها، وذلك تطبيقاً لمقولة شهيرة للمفكر العسكري الاستراتيجي الصيني صن تزو «في كتابه «فنّ الحرب»، أنّ «فنّ الحرب الأسمى هو إخضاع العدو من دون قتال». ولفهم ما تقوم به «إسرائيل» من حرب غير تقليدية بالتوازي مع الحرب العسكرية، تجب الإشارة إلى الأبعاد المتعددة التي تستخدمها «إسرائيل» في تلك الحرب، وهي:

البعد الإدراكي:

يضمّ هذا البعد الشخصيات التي تبث الشائعة أو الخبر أو التهديد، وتلك التي ترسلها، والتي تتجاوب معها وتنقلها. وهذا البعد يركّز على فهم المجموعات والبيئات اللبنانية المتعددة، والتي تختلف وتتباين بحسب التصورات والمفاهيم والمعتقدات التي تعتنقها. وعلى هذا الأساس، يركّز الإسرائيلي على السياقات الثقافية والدينية والتاريخية للمجموعات اللبنانية، لتسويق السردية الإسرائيلية التي تناسب تلك البيئة فتنقلب على حزب الله، أو لترهيب بيئة المقاومة أو لجعل هذه البيئات جميعها مشاركة في الحرب النفسية الإسرائيلية على حزب الله. ويتطلب النجاح في هذا البعد فهماً للجمهور المستهدف، واختيار الأساليب الأمثل والمفردات المناسبة والشخصيات التي يمكن لها اختراق العقل الجمعي للجمهور، حيث يكون لكل بيئة وجمهور، مفرداته، ووسائله وأشخاصه الحقيقيون أو الافتراضيون الذين يستطيعون الوصول إليه وتوزيع المعلومات التي تكون أحياناً مضللة، أو كاذبة أو جزءاً من الحرب النفسية الإسرائيلية.

البعد المعلوماتي

وهو البعد الذي يحتوي على الداتا والصور والمعلومات، والذي تقوم فيه «إسرائيل» بتحديد المعلومات والرسائل التي تريد بثها سواءً مباشرة أو عبر وكلائها وعملائها داخل لبنان وخارجه. وفي هذا البعد أيضاً تعمل «إسرائيل» على جمع المعلومات من وسائط متعددة، سواء لفهم الجمهور أو للحصول على معلومات حساسة تستخدمها في حربها العسكرية ضد حزب الله، وفي حربها النفسية ضد اللبنانيين.

البعد الإعلامي- وسائل التواصل والإعلام التقليدي

يلعب الإعلام دوراً أساسياً في الحرب غير التقليدية التي تقوم بها «إسرائيل» سواءً ضد لبنان أو ضد الفلسطينيين في غزة. وتلعب وسائل التواصل الاجتماعي دوراً فعّالاً في تلك الحرب، والتي تحاول من خلالها «إسرائيل» اختراق البيئات المختلفة، والتخفي تحت أسماء مستعارة، والوصول إلى الجمهور بطريقة أسهل مما يمكن الوصول إليه عبر وسائل الإعلام التقليدي.

ولا شكّ أن «إسرائيل» وعبر التطور التقني والتكنولوجي، تتقن استخدام العالم الافتراضي لتطبيق ما يسمى «الهندسة الاجتماعية» والتي تستخدمها لاستهداف الأفراد والمجتمعات ثقافياً وسياسياً، وتحاول من خلالها أن تمارس حرباً نفسية على اللبنانيين والفلسطينيين والعرب، للتشكيك في جدوى المقاومة، وإضعاف الروح المعنوية للأفراد والمجموعات. لكن، تجدر الإشارة إلى أن «إسرائيل» لم تعد تحتكر هذا المجال، فلقد أظهرت حرب غزة الأخيرة أن وسائل التواصل الاجتماعي لعبت في هذه الحرب دوراً فعالاً ضد الدعاية الإسرائيلية، وفنّدت زيف تلك السردية وكشفتها أمام الرأي العام العالمي. وفي المحصلة، لا بد للبنانيين والعرب معرفة هذه الأبعاد التي يمكن أن تستخدمها «إسرائيل» للتأثير في وعيهم الجمعي والفردي، ودفعهم إلى الانهيار الإدراكي الذي تكون معه الهزيمة من الداخل قبل أن تكون عسكرياً من الخارج.

تلعب وسائل التواصل الاجتماعي دوراً فعّالاً في الحرب والتي تحاول من خلالها «إسرائيل» اختراق البيئات المختلفة، والتخفي تحت أسماء مستعارة، للوصول إلى الجمهور بطريقة أسهل

التحليل الإخباري

هل ينجح هوكشتاين في حماية جبهة الكيان الشمالية؟

شارل أبي نادر
موقع العهد الإخباري

في الظاهر، تأتي زيارة عاموس هوكشتاين المبعوث الخاص للرئيس الأميركي، في إطار تبريد الجبهة بين لبنان وكيان العدو الصهيوني وفقًا لمصالح الكيان، ومنع حصول مواجهة واسعة أو حرب مفتوحة، حيث توحي كلّ المؤشرات الميدانية والعسكرية الأخيرة والمستويات التي وصل اليها الاشتباك مؤخرًا، بأنّ هذه الحرب الواسعة آتية لا محالة. وما طرحه هوكشتاين في بيروت عن سعيه لإرساء الهدوء على جبهة لبنان الجنوبية، ومن منظار مخادع، ظاهره حيادي وغير منحاز للاحتلال، وبعناوين مُغرية للبنان، مثل الهدوء والسلام والرخاء، لكنه يحمل في خفاياه الكثير من الألغام والمطبات، والتي تصبّ جميعها عمليًا، في إطار تحقيق عدة أهداف لمصلحة «إسرائيل» وهي:

- حماية جبهة الكيان الشمالية وتأمينها، بهدف إلغاء تأثيراتها السلبية عليه ميدانيًا وعسكريًا، وتسهيل تفرغه للحرب على غزّة، وذلك بعد أن نجح حزب الله في سحب القسم الأكبر من جهود جيش العدو نحو الشمال، وإشغال وحداته بمستوى مرتفع جدًّا من الضغط العسكري والميداني، والذي لا يمكن تجاوزه أو تجاهله لدرجة أصبح أغلب مسؤوليه العسكريين يخشون جبهتهم الشمالية فعلًا ويعدّونها الجبهة الرئيسة الأخطر في معركتهم الحالية.
- من جهة أخرى، يسعى هوكشتاين عبر حراكه «الديبلوماسي» تجاه لبنان إلى تأمين عودة مستوطني الجليل إلى مستعمراتهم ومنازلهم وأعمالهم، وإعادة التوازن إلى المنطقة الشمالية للكيان، وذلك بعد أن أصبحت تداعيات هذا اللاتوازن في الجليل والتحديات المطلوبة لمواجهتها، أبعد من الحاجة لتأمين الهدوء والأمن والأمان لأبنائه، لتصبح تحديات وجودية للاحتلال، بعد أن باتت تأثيراتها مُهدّدة لفلسفة الكيان برمته، حيث لن يعود هناك اقتناع يهودي بالهجرة إلى فلسطين المحتلة، في ظلّ فقدان الثقة بالجيش «الأقوى في الشرق الأوسط»، والذي فشل في حماية هؤلاء المستوطنين، وأيضًا، في ظلّ «هاجس طوفان الأقصى»، كونها عملية حتمية، واردٌ حصولها دائمًا، وعلى كلّ جبهات المواجهة مع الاحتلال، وبعد أن أصبحت هاجسًا ثابتًا في وعي وفي لا وعي كلّ إسرائيلي.

من هنا تأتي الأهداف الفعلية لمحاولة هوكشتاين الديبلوماسية، والتي تقوم بجوهرها عمليًا، على استغلال أهم بند من بنود القرار ١٧٠١ بالنسبة إلى ادارته وبالنسبة إلى حكومة العدو، لإبعاد حزب الله شمالًا، بمسافة معينة عن الحدود مع فلسطين المحتلة، كان عنوانها نهر الليطاني فاصلًا، لكي تصبح اليوم بالنسبة إلى هؤلاء، وبعد ما ظهر من قدرات وأسلحة نوعية لحزب الله، بما هو مناسب لتحقيق إبعاد تأثيرات هذه الأسلحة عن وحدات العدوّ وعن مستوطنيه في الجليل.

هوكشتاين ربط عمليًا وجوب حصول ما أسماها «التسوية الحدودية» بين لبنان و»إسرائيل»، بتلافي الحرب المرتقبة والتصعيد العنيف القادم، وما قصده - ضمنيًا طبعًا- بتحقيق الأمن والرخاء في لبنان، لا يمكن إلا فهمه وكأنّه تهديد ضمني، لتلافي الدمار الذي سوف تسببه «إسرائيل في لبنان في حال لم ينفذ حزب الله ما هو مطلوب إسرائيليًا منه، ويكون هوكشتاين فعليًا قد ألغى الارتباط العضوي بين جبهة العدوّ الشمالية مع لبنان وجبهته الجنوبية في غزّة.